

المواقف العامة للتيارات السياسية الجزائرية من الاستعمار الفرنسي

الأستاذ: برمكي محمد

قسم العلوم الانسانية

جامعة آدرار

الملخص:

تتناول هذه الدراسة المواقف العامة للتيارات السياسية الجزائرية من الاستعمار الفرنسي، وبداية تبلور الفكر التحرري بداية من المحافظين والنخبة، اللذان مثلا في بداية القرن العشرين ركائز الحركة السياسية الجزائرية، وتقديم أمثلة على هذه المواقف خصوصا لدى حركة الشبان الجزائريين واتحادية المنتخبين من بعدها وموقف الشيوعيين وموقف التيار الثوري ثم موقف الإصلاحيين من الاستعمار والذي تجسّد لدى مؤسسي جمعية العلماء المسلمين مثل عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي من بعده، وإدراك أنه مهما اختلفت مشارب التيارات السياسية في الجزائر بين من هم أصحاب مرجعية إسلامية أو أصحاب المرجعية الأوروبية إلا أنهم قدموا برامج سياسية كان لها الأثر في أحداث تلك الطفرة المميزة من حياة الجزائر السياسية، وإبراز مدى التأثير الذي أحدثته الحرب العالمية الأولى على أفكار مثقفي الجزائر.

Summary :

This study deals with the general attitudes of the Algerian political currents from the French colonization and the beginning of crystallization of liberal thought from the conservatives and elites, for example at the beginning of the 20th century, the pillars of the Algerian political movement, and examples of these attitudes, especially in the movement of young Algerians and the elected Union. Revolutionary and then the position of the reformists of colonialism and embodied by the founders of the Association of Muslim Scholars such as Abdel Hamid Ibn Badis and Bashir Ibrahimi after him,.

And realize that no matter how different the various political currents in Algeria between those who are the owners of the Islamic reference, or the European reference owners, but they gave political

programs had an impact in the events of this Stage of the political life of Algeria and to highlight the magnitude of the impact that the First World War on the ideas of intellectuals of Algeria forged.

مقدمة:

مع نهاية القرن التاسع عشر بدأت مطالب الإصلاح السياسي تلوح في الأفق، وكان أصحابها هم المثقفون الجزائريون الذين تخرجوا من المدارس الفرنسية رغم قلمهم إلا أن نشاطهم هذا خاصة بعد 1908 كان كفيلا بالشعور بتغير عقلية الجزائري في التعاطي مع هذا الواقع الاستعماري. فما هي المواقف العامة للتيارات السياسية الجزائرية من الاستعمار الفرنسي في بدايات القرن 20م؟، إلى أي مدى تباينت مواقف هذه التيارات السياسية وكيف ساهمت النخبة المثقفة في تكريس وإثراء مواقفها؟، ماهي انعكاسات الحرب العالمية الأولى على الحياة السياسية في الجزائر؟.

أولاً: بداية تبلور الفكر التحرري لدى المثقفين الجزائريين.

لقد بدأ الفكر التحرري في التبلور في نمط الجماعة أو الكتلة أو النخبة، من طرف مثقفين كلهم من مواليد القرن التاسع عشر أمثال عبد القادر المجاوي وابي القاسم الحفناوي، وعبد الحليم بن سماية ومولود بن الموهوب¹، والذين بدورهم خطوا بالتكوين العلمي والدعوي في القرن العشرين الذي مثل ثمرة تواصلهم بالمرحلة السابقة، وقد تزعم هذا النشاط الدعوي والتعليمي كتلة المحافظين وجماعة النخبة بهدف التصدي لمخططات طمس معالم الأمة الجزائرية والمحافظة على مقومات الشخصية الوطنية.

عرفت جماعة المحافظين عند بعض الباحثين بأنها كل الطبقات الجزائرية التي قبلت "المحافظية". هذه الأخيرة التي تعنى بقاء الحالة الراهنة من أجل معارضة الأفكار الغربية، والتجنيس والتجنيد الإجباري ... وكل الخطط التي قد تدخل تغيرات متطرفة الى المجتمع

¹ - محمد رشدي جرایة محاضرة بعنوان: " نماذج لشخصيات تحررية فاعلة ضمن (جماعة المحافظين الجزائريين) في الفترة ما بين 1900-1919". مطبوعة الملتقى الطلابي الأول في التاريخ السياسي "ارهاصات الفكر التحرري في الجزائر قبل ظهور نجم شمال افريقيا بتاريخ 25 و26 ابريل 2011، المركز الجامعي الوادي، ص ص 18- 20

الجزائري¹، فيما اعتبرها آخرون أنها مجموعة من الشخصيات المتشعبة بالثقافة العربية الإسلامية، والتي كانت تؤمن بضرورة تكريس الهوية الإسلامية في أوساط المجتمع الجزائري، من أجل المحافظة على كيان الأمة الجزائرية²، فعلى الرغم من الظروف التي يعيشها الإنسان الجزائري التي مثلت الحرمان والشقاء عكس المواطن الأوروبي الذي كان في نعيم³ إلا أن شخصيات هذه المرحلة كانت كثيرة وعلى قدر من التكوين والعلم نذكر من بينهم:⁴ الشيخ عبد القادر المجاوي، الشيخ أبو قاسم محمد الحفناوي، الشيخ عبد الحليم سماية والشيخ المولود بن الموهوب ...

ويمكن القول أن هذه المجموعة المثقفة رغم تنوعها واختلاف مشاربها إلا أنها ألتقت حول أرضية مشتركة كان من أهم محاورها: المساواة في التمثيل النيابي بين الجزائريين والمعمرين، المساواة في الضرائب، الدعوة إلى فكر الجامعة الإسلامية، معارضة التجنيد والتجنيس، إلغاء قانون الأهالي وكل الإجراءات التعسفية، استرجاع العمل بنظام القضاء الإسلامي، نشر وإصلاح وسائل تعليم اللغة العربية، عدم استعمال العنف، حرية الهجرة⁵.

بعد تأسيس كتلة المحافظين في 1900م كانت الصحافة تضطلع بدور هام في فضح الممارسات المنافية للمبادئ الإنسانية، فجريدة المغرب مثلا كانت مقربة من كتلة المحافظين ومن بين محرريها الأساسيين عبد القادر المجاوي، والسعيد بن أحمد بن زكري، وعبد الحليم بن سماية ومحمد بن شنب، كما ميز هذه الفترة كذلك بروز

¹ - سعد الله أبو القاسم " الحركة الوطنية الجزائرية 1900_1930 ، ج2، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص145

² - عبد الوهاب بن خليف، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، ط01، الأملية للنشر والتوزيع، قسنطينة الجزائر، 2010، ص145

³ - عمر بن قنية ، صورة الجزائر أرضا و انسا ن لدى رحالة فرنسي (1899)، منشورات تالة اليباير – الجزائر 2010 ، ص ص 9 - 10

⁴ - عمار عمورة "الجزائر بوابة التاريخ " الجزء 2 ، دار المعرفة – الجزائر 2009 ، ص 276

⁵ - عاشور قمعون العلامة الموسوي الشيخ حمزة بوكوشة 1907-1944، ط01 ، إصدار دار الثقافة لولاية الوادي ، الجزائر 2012.ص40

النوادي والجمعيات الثقافية كالجمعية الراشدية في 1902، ونادي الشباب الجزائري 1909¹

لقد أدركت كتلة المحافظين منذ البداية أن غياب الوعي السياسي له مخاطر على بناء المجتمع الجزائري في دائرة انتمائه الحضاري، لذلك طالبوا بالإصلاح الاجتماعي وتحسين التعليم وعملوا على محاربة الآفات الاجتماعية والجمود الفكري وهو ما سيتجسد فيما بعد في تيارات واتجاهات الحركة الوطنية من دفاع على هويتها والحفاظ على استقلاليتها².

أما عن النخبة فهم مجموعة من الجزائريين الذين جمعوا ما بين الثقافتين العربية والفرنسية وضمت مجموعتهم التي تأسست في 1907 عددا من المترجمين والصيدالة والقضاة، والمحامين والصحفيين من أبرزهم الأمير خالد الجزائري وبلقاسم بن التهامي والدكتور بن جلول والمترجمان بن قطاوي وبن برهمات إضافة إلى الدكتور مرسلي وفرحات عباس³.

لقد واجهت جماعة النخبة جماعة المحافظين بعدة تهم، إذ اتهمت الأولى الثانية بالتعصب ومعارضة الإسلام الحقيقي الذي انبثق في نظرهم من إسلام رائع إلى مذهب بغيض في أعين الأجانب، وفي ظل هذه الحالة وجدت النخبة نفسها بين المحافظين ومن ورائهم غالبية الشعب الجزائري والمعمرين الكولون الذين لم يقبلوا بهم رغم موافقتهم على مطلب التجنيس وذلك لأنهم كانوا يفرقون بين فرنسا الديمقراطية هناك وفرنسا الاستبدادية في الجزائر فاستغاثوا بالأولى ضد الثانية⁴، وتركزت أهم مطالب النخبة حول المحار التالية: تطبيق فرنسا لما سطره القانون باعتبار الجزائر مقاطعة فرنسية، المساواة في الحقوق السياسية مع الفرنسيين، إلغاء قانون الأهالي وغيره من القوانين الاستثنائية، وعلى رأسها قانون الجنسية لعام 1865، المساواة في العملية الانتخابية،

¹ - عبد الوهاب بن خليف ، المرجع السابق ص ص 104 109.

² - عبد الوهاب الشلالي. دور جماعة المحافظين في بلورة الوعي السياسي الداخلي مطبوعة الملتقى الطلابي الأول في التاريخ السياسي "إرهاصات التحرر في الجزائر قبل ظهور نجم شمال إفريقيا" بتاريخ 25-26 أبريل 2011، المركز الجامعي الوادي ، ص 59.

³ - عبد الوهاب بن خليف ، المرجع السابق ص 114.

⁴ - سعد الله أبو القاسم ، المرجع السابق، ص ص 162-168.

حق التمثيل النيابي للجزائريين في المجلس الوطني الفرنسي والذي لم يتحقق قبل 1947 والمساواة في الضرائب وفرص العمل¹.

وظل شرطهم التمسك بالأحوال الشخصية وعدم التخلي عنها معبرا عن هويتهم واستقلاليتهم ولو مؤقتا، وقد استفادت النخبة كذلك من الإعلام والنوادي والجمعيات الثقافية في إيصال أفكارها وتوسيع نشاطها خصوصا في أوساط المتعلمين من خريجي المدارس الفرنسية.

إن لصدور قانون فيفري 1919 الأثر البالغ في شطر النخبة إلى تيارين سياسيين، فبالرغم من إيجابياته فيما يتعلق بالانتخابات إلا أنه كان سببا في انقسام النخبة على نفسها وبداية صراع انعكس في الانتخابات البلدية التي جرت بالعاصمة في ديسمبر 1919 وهذين الجناحين هما الأول بزعامة الدكتور بلقاسم ابن التهامي، وهو الذي قبل بالاندماج مع الفرنسيين بقبول الجنسية الفرنسية والتخلي عن الأحوال الشخصية، أما الثاني بزعامة الأمير خالد وهو الذي طالب بالجنسية الفرنسية مع الحفاظ على الأحوال الشخصية، وقد تحصلت قائمته على الأغلبية²

لقد سببت هذه الانتصارات للأمير خالد وأنصاره في الانتخابات إزعاجا لفرنسا فقد فازت قائمته التي كان على رأسها قايد حمود في المقاطعة المشتركة بين البلدية والمدينة والدكتور موسى في قسنطينة والكحلي أحمد في سطيف وابن رحال في وهران وتلمسان³، وبالرغم من ذلك ظل الأمير خالد يملأ الساحة السياسية بنشاطه الذي مهد لظهور تيار ثوري وهو نجم شمال إفريقيا حيث كان لنداوته ولقاءاته دورا في ذلك.

ثانيا: مواقف التيارات السياسية من الاستعمار الفرنسي.

01- موقف حركة الشبان الجزائريين واتحادية المنتخبين:

لعبت حركة الشبان الجزائريين (MJA) دورا هاما في الفترة الممتدة ما بين (1912-1926) كقوة سياسية، وقد أبدى فرحات عباس تأثره الكبير بهذه الحركة، فلطالما كان يمثل

¹ - نفسه، ص 163.

² - عبد الوهاب بن خليف، المرجع السابق ص 115، ينظر أيضا سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق ص 290

³ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ج 1، (1919-1936) ترجمة محمد بن البار، ط 1 دار الأمة - الجزائر 2008، ص 129.

اتجاهها ليبراليا في الحركة الوطنية وانعكس هذا على موقفه من الاستعمار الفرنسي وفي سنة 1927 ظهرت اتحادية المنتخبين التي كانت عبارة عن امتداد لحركة الشبان الجزائريين، وقد استقطبت الاتحادية عددا من النخب المثقفة ثقافة فرنسية لأن أغلبها إن لم نقل كلها تعلم في المدارس الفرنسية وبالتالي كانوا أقرب للطروحات فطالبوا بالاندماج¹، واعتبروا أن فكرة الإدماج هي الوسيلة نحو التحرر و رأوا في أنفسهم نخبة موالية للاستعمار الفرنسي تستطيع أن تجعل السكان الجزائريين المسلمين مواطنين فرنسيين²

إن هذه الأفكار هي التي آمن بها فرحات عباس واعتبرها الحل الوحيد بالنسبة للمجتمع والشعب الجزائري كما أنه طرح أفكار الكتلة التي تبناها الأمير خالد وحاول بلورتهما وصياغتهما في شكل جديد وركز على بعض الأمور التي من شأنها أن لا تثير المعمرين كالمصالحة بين الأهالي الجزائريين والمعمرين الأوروبيين من جهة وتحقيق التعاون الكامل بين الاثنين ونسيان الماضي من جهة أخرى³، وبانضمامه لاتحادية المنتخبين بدأ فرحات عباس خوض غمار السياسة، بدخوله المؤسسات الرسمية الفرنسية.

إن هذا الدور لفرحات عباس لم يكن ليتحقق بجهده الفردي وإنما نتيجة وجود شخصيات أخرى قاسمته هذه القناعات ضمن ما يسمى باتحادية المنتخبين كالدكتور جلول الذي هو من مواليد قسنطينة 1886 من عائلة برجوازية صغيرة درس الطب في الجامعات الفرنسية، وكان من مؤسسي اتحادية المنتخبين ومن الذين طالبوا بالإدماج والتجنس للأهالي الجزائريين في المجتمع الفرنسي وتأثر به فرحات عباس كثيرا فقد كان على نفس مستواه الاجتماعي، فالمكانة الاجتماعية وسياسة الإدماج شكلت محور العملية السياسية في تلك الفترة⁴.

¹-Gilbert Meynier , Histoire intérieure de FLN 1954-1962, Alger edition casabah ,2003,P45. 11

² - Ibid, P46.

³ - يحي بوعزيز : الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوص 1912-1984 ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية 1991 .ص.23.

⁴ - Mohamed Harbi ,Le F.L.N.Mirages et réalités :des origines à la paris du pouvoir 1945-1962Paris : éditions J.A ,1980.P11-14.

02- موقف الشيوعيين:

يذهب محفوظ قداش إلى تصنيف الشيوعيين الجزائريين ضمن أنصار الإدماج السياسي وذلك ما فسره بتحمسهم لمشروع بلوم فيوليت، كما أكدوا دعمهم الكامل لسياسة الإصلاحات المتضمنة في الميثاق المطلي للمؤتمر الإسلامي¹

أما عبد الرحمان بن العقون فيرى أن الحزب الشيوعي الجزائري لا يخرج عن الدعوة للشيوعية العالمية كما أنه يندرج في إطار سياسة الإدماج ولو بطريقة غير مباشرة وتحت عناوين مغرية²، فقد ظل الشيوعيون ينادون ضمن إطار الحركة الشيوعية العالمية بضرورة توحيد واندماج كل من يؤمن بمبادئ ثورتهم البرولتارية، كما أن التيار الشيوعي أدخل في معادلتته متغيرا جديدا يتمثل في الأممية العالمية، فلم يبق رهين الثنائية المتمثلة في فرنسا والجزائر وإنما تعدى ذلك إلى محور ثلاثي متشكلا من موسكو- باريس- الجزائر فتاهت مسيرته في محاولة التوفيق بين كل طرف فلم يستطع الحزب الشيوعي الفرنسي الذي مارس الوصاية على الحزب الشيوعي الجزائري أن يفرط في مكاسب فرنسا ومكانتها كما لم يستغ التضحية بمستعمراتها خاصة الجزائر التي استوطنها الأوروبيون والفرنسيون وأصبحوا يدافعون عن وجودهم فيها، فما كان على الحزب الشيوعي الجزائري إلا العمل من أجل جزائر حرة متحدة اتحاد أخويا مع الشعب الفرنسي وجميع الشعوب الأوربية الأخرى المؤمنة بهذا الاتجاه³

لقد ظل ليننيو فرنسا مسؤولين عن إنشاء تحالف بين الأفارقة العرب وغيرهم من أبناء المستعمرات الفرنسية إلى غاية 1930، وبعد أن عجزوا عن القيام بهذا الدور لعدة أسباب عملوا منذ 1931 على تشكيل تنظيمات وأحزاب شيوعية في كل من الجزائر والمغرب وتونس، وغذت مطالبهم الانفصالية و الاستقلالية وهو الأمر الذي ينطبق على مصالي الحاج وعلاقته بنجم شمال إفريقيا والحزب الشيوعي⁴.

¹ - محفوظ قداش . تاريخ الحركة الوطنية ج ، المرجع السابق ، ص 646.

² - العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة، ج 1، (1920 – 1936)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت.)، ص 110.

³ - عبد الكريم بوصفصاف ، جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية . ط 01 ، عالم المعرفة ، الجزائر 2009 ص 224.

⁴ - عمار بوحوش التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 ، ط 01 ، دار المغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان 1997 م.

ونخلص من خلال هذه المواقف للحزب الشيوعي من فرنسا الاستعمارية إلى أن هذه الرؤية الاندماجية تركزت على عدة دعائم وأسس منها العمل على حماية المصالح الفرنسية وسيادة فرنسا على الجزائر كما إن القيام بإصلاحات وتعديلات من طرف فرنسا في الجزائر لا ينقص من شرعيتها وسلطتها في الجزائر ولا بجوهر المشكلة الجزائرية وهو التحرر والاستقلال¹

03- موقف التيار الثوري:

رغم ولادة النجم في أحضان الشيوعية ورغم أنه في بدايته توضحت ملامحه الأيديولوجية وذلك ربما يعود إلى ضعف تركيبته البشرية من حيث الرصيد الإيديولوجي والخبرة السياسية، لكنه ظل يبحث عن الكيفية التي تسمح له بالتحرر من التبعية والخروج من الإيديولوجية الضيقة خاصة إذا ارتبط الأمر بمشكلة كالقضية جزائرية، فما يميز التيار الاستقلالي عن غيره هو الوضوح في التعبير عن مواقفه من الاستعمار الفرنسي للجزائر فقد طالب بالاستقلال في جميع العرائض التي قدمها للسلطات الفرنسية في المناسبات الوطنية أو الدولية.

وقد برز التحول في النجم منذ مؤتمر بروكسل الذي عقد من 10 إلى 15 فيفري 1927 وحضره 170 مندوبا من 37 بلدا مستعمرا وهدف هذا المؤتمر إلى تأسيس حركة معادية للإمبريالية في العالم، ومن أهم الشخصيات التي حضرته نذكر جواهر لال نهرو من الهند والأمير شكيب أرسلان، ضف إلى ذلك بروز شخصية مصالي الحاج الذي سيكون له تأثير كبير في مسار التيار الاستقلالي، وبالعودة إلى المؤتمر فإنه شكل حدثا بارزا في تاريخ ردة الفعل ضد المستعمر فقد كان المؤتمر يمثل 8 ملايين من العمال المنطوين تحت النقابات المختلفة².

كما أن تأثير مصالي الحاج برز كذلك من خلال مطالبه الثورية التي طبعت النجم بعد توليه إدارته ثم بعد ذلك حزب الشعب الجزائري وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية إذ كان مطلب الاستقلال هو القاسم المشترك بين هذه الأحزاب التي مثلت التيار الثوري

¹ - يعي بوعزيز مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ، طبعة خاصة ، دار البصائر ، الجزائر 2009 ص494.

² - محمد قناشي، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919 – 1939، ط01، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982 ، ص41.

الراديكالي، ومن بين ما طالب به مصالي الحاج في هذا المؤتمر¹: استقلال الجزائر، جلاء قوات الاحتلال الفرنسية، تأسيس جيش وطني، حجز الأملاك الفلاحية الكبيرة التي استولى عليها الإقطاعيون عملاء الامبريالية والمعمرون والشركات الرأسمالية الخاصة وإرجاعها إلى الفلاحين الجزائريين الذين سلبت منهم، إعادة الأراضي والغابات التي استولت عليها الدولة الفرنسية إلى الدولة الجزائرية.

والواضح أن مصالي الحاج لم يرفض الوجود الاستعماري أو الاحتلال الفرنسي في الجزائر فقط بل تعدى ذلك لأن يعطي بديلا وهو الاستقلال والتحرر، وبرز لنا مفهومه للاستقلال وموقفه من فرنسا من خلال تركيزه على جلاء الجيش الفرنسي رمز الهيمنة الاستعمارية واستبداله بجيش وطني جزائري، وهذا مطلب اتسم بالوضوح خصوصا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الفترة التي قيل فيها على حد تعبير أحمد محساس².

لقد كان مطلب الاستقلال منذ 1927 المطلب الرئيسي للنجم حيث شدد من مواقفه الثورية اتجاه السلطات الفرنسية من جهة والحزب الشيوعي من جهة أخرى، حيث أصبحت التسوية غير مرغوب فيها وأصبحت مطالب النجم وطنية هدفها التصدي للاستعمار وشكل هذا قطيعة بينه وبين الحزب الشيوعي الفرنسي وبداية التأسيس لنزعة وطنية ذات تأثيرات إسلامية.

04- موقف الإصلاحيين من الاستعمار الفرنسي.

لم يكن للجمعية لتظل بعيدة عن ما يحدث في الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية، ففي منظورها أن التخلص من الاستعمار الفرنسي لا يكون إلا عن طريق الإصلاح الديني بمفهومه الشامل، ومحاربة المضللين من الطرقيين الذين كانوا من حيث شعروا أم لم يشعروا داعمين للاستعمار الفرنسي في سياسته الهادفة إلى إبعاد الناس عن دينهم الحقيقي.

لكن ورغم مواقفهم لم يستطع الإصلاحيون أن يصدحوا في ظل الاستعمار الفرنسي بعبارات أكثر استقلالية ورفضاً لفرنسا ولتواجدها في الجزائر، وظلوا يعبرون عن هذه الاستقلالية وعن هذا التمايز بعبارات مثل "الكيان الجزائري" - "الأمة الإسلامية" التي

¹ - نفسه ص 44.

² - أحمد محساس - الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى الى الثورة المسلحة ، (ترجمة محمد عباس) الجزائر ، وزارة المجاهدين ، د، ت. ص. 80

طبعت وميزت أدبيات العلماء في تلك الفترة. وكانوا يعتبرونها نقيضا للآخر الاستعماري المتمثل في الأمة الفرنسية، فكان اتجاههم معاديا للاستعمار الفرنسي انطلاقا من صراع أمتين على أرض جزائرية فهدفوا بالتالي إلى إعادة الدولة الجزائرية العربية الإسلامية إلى أمتها الأصلية بعيدا عن الأمة الفرنسية المغتصبة¹

والملاحظ أن عمل الجمعية الذي غلب عليه الطابع الثقافي والاجتماعي والديني يعتبر العمل السياسي ما لا يتعارض مع نصوص الدين² وقد كان نموذج الدولة عند العلماء وخصوصا عند ابن باديس مجسدا في التاريخ الإسلامي وهو في نظر الباحثين يكاد يكون الوحيد الذي بحث وحاول وضع أسس فلسفة لدولة قائمة على المبادئ الإسلامية³، وقد استخرج هذه الأسس من خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي ألقاها بعد اختياره خليفة للمسلمين، وأعطى ابن باديس لهذه الخطبة قراءة عصرية واستنبط منها ثلاثة عشرة مبدأ سياسيا سماها أصول الولاية في الإسلام "17"⁴.

ورغم ما للتجربة الكمالية في تركيا من سلبات إلا أن ابن باديس أبدى إعجابه بالكماليين وبتجربتهم⁵ وقد كتب في الشهاب قائلا: "لقد ثار مصطفى كمال ثورة جامعة جارية ولكنه لم يثر على الإسلام، وإنما ثار على أولئك الذين يسمون أنفسهم المسلمين فألغى الخلافة الزائفة"⁶.

إن هذا الموقف الذي أبداه ابن باديس أثار استغراب الكثيرين خاصة عندما اعتبر الأمر خاصا بالأتراك قائلا: "لم يلغوا الخلافة الإسلامية بمعناها الإسلامي وإنما الغوا

¹ - يوسف منصورية، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين (1919 - 1939)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988، ص 35-36.

² - Lahouri ADDL, L'impasse du populisme , L'Algérie :collectivite politique et Etat construction , entreprise Nationale du livre , Alger , 1990.P38.

³ - رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الإتفاق والإختلاف (1920 - 1954) كوكب العلوم - الجزائر- 2009، ص 151.

⁴ - نفسه . ص 151.

⁵ - أحمد صاري ابن باديس ومسألة إلغاء الخلافة مجلة الآداب والعلوم الانسانية ، عدد 01 كلية الآداب - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية - قسنطينة . أفريل 2002 ، ص 141.

⁶ - الشهاب الجزء 9 ، مجلة 14 نوفمبر 1938 ص 130.134.

نظاما حكوميا خاصا لهم".¹، فإشارة ابن باديس هذه لا تندرج في سياق الاستدلال بالدولة النموذج وإنما في ظروفها وسياقها التاريخي ومحاولة إسقاطها على الواقع الجزائري خاصة أو الإسلامي عامة.

كما نخلص إلى أن ابن باديس كان حذرا وحريصا على عدم الاصطدام بالإدارة الفرنسية وله بعد نظر يتمثل في تربية هذا الشعب وتوعيته إلى أن يصبح قادرا على اخذ زمام المبادرة.

ان العلماء أو الاصطلاحيون وضعوا أسسا ومقومات للأمة الجزائرية التي هي منفصلة عن الأمة الفرنسية فابن باديس يميز بين الأمة التي يصعب إدماجها ويستحيل إعدامها وبين الدولة التي يمكن إزالتها والإخلال بأركانها الأساسية وهو يقصد بهذه الحالة الجزائرية، التي يرى بان الاحتلال أزال الدولة وقوض أركانها، وبقيت أمة الجزائر بدون دولة منذ 1830.²

أما عن خلفه العلامة البشير الإبراهيمي فقد كان واضحا فيما يخص السياسة الفرنسية حين قال: "إننا لا نرضى بهذه القوانين لأنها مفروضة علينا فرضا في أمر يتعلق بنا وحدنا وهو ديننا ولغتنا، ولا نختارها لأنها باطل، والباطل لا يحترم ولا نقرها لأنها حرب على ديننا ولغتنا وإننا لا نرضى إلا بالحرية الصريحة فان لم تكن فالموتة المريحة"

3

وإذا ما أردنا تعبيرا أكثر بلاغة فيكفينا تعبيره الفذ والفصيح والمقنع بروعة بيانه وقوة منطلقه من الاستعمار الفرنسي ومحاولاته لضم الجزائر وطمس هويتها إذ عبر قائلا: "لو أن البحر الأبيض حق و التأمّت حافته حتى أصبحت الجزائر ريضا من أرياض مرسليليا، لما كان لهذه الكلمة الجزائر فرنسية موضع في العقل ما دامت تلك الفوارق قائمة، ولو أن الجزائريين كفروا بالواحد وآمنوا بالثلاثة لما كان لهذه الكلمة موقع في النفس مادامت سنن الله في خلقه جارية، إن الجزائر ليست فرنسية، ولن تكون فرنسية قالها أولنا ويقولها

1 - عبد الكريم بوصفصاف، ابن باديس بين الاصاله والمعاصره ، مجلة سيرتنا ، تاريخية اجتماعية فلسفية ، ع 11، 07 ماي 1998 - معهد العلوم الاجتماعية جامعة منتوري قسنطينة ص 92 .

2 - محمد بن ابراهيم جندلي مبعث الحركة الوطنية بالجزائر وامتدادها بعناية (1919-1954) الكتاب الثالث ، مطبعة المعارف عنابة الجزائر ، أوت 2008 ، ص 60.

3 - محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، جمع أحمد طالب الإبراهيمي ج1، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1997م، ص 239.

آخرنا ومات عليها أسلافنا وسيلقى الله عليها خلفنا"¹، إن هذا الموقف للشيخ البشير الإبراهيمي هو موقف رافض للواقع الاستعماري ويسعى لغرس روح الوطنية في أبناء الجزائر والاعتزاز بماضيهم وهو الأمر الذي دأب عليه قادة التيار الإصلاحية.

ثالثا: آثار وانعكاسات الحرب العالمية الأولى على أفكار المثقفين في الجزائر.

تعد الحرب العالمية الأولى 1914-1918 من العوامل التي أدت إلى بلورة الفكر المناهض للاستعمار خاصة إذا علمنا ما سبقه من إجراءات تعسفية بحق الشعب الجزائري كقانون التجنيد الإجباري الذي لاقى معارضة ورفضاً من الجزائريين، وقد كانت مشاركة الجزائريين في الحرب لها آثار على مختلف فئات الشعب خاصة بعد ما رأوا الواقع في فرنسا وما يتمثل فيه من مفاهيم حول الحرية والإخاء والمساواة.

وإذا أسقطنا هذا التأثير العام على بعض القادة كالزعيم مصالي الحاج مثلا فان ذلك لا يدع مجالا للشك بأن هذه الحرب قد تركت بصماتها على الرجل وشكلت لحظة فارقة في تاريخه ونظرت له للمستعمر كما أنه أثناء أدائه للخدمة العسكرية بمدينة " بوردو " في فرنسا وجد أن هناك ظروفا سياسية واقتصادية واجتماعية مختلفة عن وطنه الأصلي الجزائر، كحرية التعبير السياسي وحرية التجمع، كما يسمح لسكان المستعمرات بممارسة المهن الحرة المختلفة كالجارة فضلا عن الرواتب التي كانت تختلف عما كانوا يتقاضونه في بلدانهم، أما عن الناحية الاجتماعية فإن البطالة غير منتشرة بكثرة كما هو عليه الحال في المستعمرات، بل بالعكس كانت هناك حاجة لليد العاملة مع حصولها على امتيازات لا تحصل عليها في بلدانها.

لذلك بعد انتهائه من الخدمة العسكرية التي أداها ما بين (27 فيفري 1918 - إلى 28 فيفري 1921) وعودته إلى تلمسان أعلن عن رفضه للوضعية التي يعاني منها الجزائري وكذا الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي تعيشها الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى، كما بدأ في الوقت ذاته يتشكل لديه وعي سياسي ووطني وديني بعث فيه الحنين إلى ماضي الحضارة العربية الإسلامية متأثرا ببعض الكتابات على غرار كتاب "غوستاف لوبون" Gustave Lebon حول الإسلام.²

¹ - البصائر، ع 111. 24 جمادي الاول 1369 هـ الموافق لـ 13 مارس 1950. ص 175.

² - Hadg Messali. memoires de Messali Hadg 1898-1938. France editons lattes. 1982 p41.

ومن الأمور التي تكشف لمصالي الحاج أثناء تأديته للخدمة العسكرية التمييز بين الجنود الجزائريين والجنود الفرنسيين إذ كتب في مذكراته: "كان لي زملاء فرنسيين في رتبة ضابط صف - وعبرت لهم عن سخطي وغضبي اتجاه اللاعذالة التي عانيت منها، وعبرت لهم عن إرادتي في تقديم احتجاجات لدى السلطات العسكرية وبعد تعييني في رتبة ضابط صف أدركت أنني لا أتقاضى نفس الراتب الشهري الذي يتقاضونه، حيث كنت أتحصل على 01 فرنك و 50 سنتيم في حين الزميل الفرنسي في الرتبة يتحصل على 07 فرنكات، فكتبت احتجاجا لقائد فرقة 18 للجيش في بوردو ... وبعد شهر تحصلت على الرد بالرفض! أنديجيني ولا يسمح لي بالتمتع بنفس الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون.¹

كما كان للثورات التي قامت بالمشرق العربي صدى كبير على مصالي الحاج، حيث سيطرت بريطانيا على العراق وفلسطين وقامت عدة انتفاضات وثورات على التسوية التي تمت بعد الحرب العالمية الأولى والتي رسمت خطوطها الدول المنتصرة في الحرب، فحدثت صدامات في سوريا بين مجموعة من الثوار المتطوعين والقوات الفرنسية.²

وقد تمكنت فرنسا من تجنيد حوالي "172 ألف" مئة واثنا وسبعون ألف جزائري قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914 في حين تذهب مصادر أخرى إلى أن عدد المجندين خلال هذه الفترة قارب 250 ألف مئتين وخمسون ألف مجند،³ يضاف إلى هذا أن 80 ألف من هؤلاء لاقوا حتفهم وهم لا يدرون لما يقاتلون لأنهم حملوا من قراهم ومداشرهم إلى ساحات القتال.⁴

وقد عارض الأمير خالد هذا الأمر بشدة واعتبر أن تجنيد الجزائريين لمصلحة فرنسا يعتبر إعلاء للمعاني البربرية والظلم وأن الفرنسيين لم يراعوا معاني الإنسانية أو القيم والعدالة. عندما ساقوا الآلاف من الأبرياء للموت من أجل قضية لا تعنيهم وفي سبيل فرنسا التي لا زالت تعتبرهم مجرد أهالي خاضعين⁵، وقد وصل به الأمر أن تهجم على

¹ - Ibid, Pp105-106.

² - جورج انطونيوس ، بقطة العرب : تاريخ حركة العرب القومية ، ط3ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس . بيروت دار العلم للملايين . ص 428-431..

³ - Farhat Abbas . de la colomio vers la province lajeune algerien.paris .editions de la geune parque 1931.p16.

⁴ - Ibid,, p17.

⁵ - likdam.02- mai-1921.

السيد "جون مورينو" رئيس بلدية قسنطينة حين استنكر منه منع ابنه من المشاركة في الحرب العالمية الأولى إلى جانب فرنسا في حين كان حريصا على تجنيد الجزائريين¹.
* بروز التنظيمات والأحزاب : لقد تميزت الساحة السياسية بظهور تنظيمات مهيكلية ولها أبعاد إستراتيجية بعد الحرب العالمية الأولى، كما أثر كذلك وصول المهاجرين وتزايدهم في فرنسا في هذه التكتلات، وقد طال هذا التأثير العلماء² فقد أخذ المسلمون الجزائريون في الاستئناس بمختلف المؤسسات والأحزاب الأوروبية وبدأ يتجسد ذلك في واقعهم³.

كما أن مخلفات الحرب العالمية الأولى في شقها الإيجابي أن اكسبت المهاجرون والمجنودون خبرات سياسية وعسكرية من خلال احتكاكهم بالأوروبيين حين اطلع هؤلاء على آليات العمل النقابي والعمل الحزبي والمعارضة السياسية والاستثمار الإعلامي، ولم يخفوا انبهارهم بما وصلت إليها أوروبا عموما وفرنسا خصوصا في هذه المجالات وغيرها، ودفعهم هذا إلى استغلال ذلك الرصيد في نشاطاتهم ضد المستعمر الذي أفادهم كثيرا في تغذية الوعي بحقوق مواطنهم ومستقبل وطنهم، من حيث لم يقصدوا والدليل على ذلك أن أغلب قادة التشكيلات السياسية هم خريجو المدرسة الفرنسية المدنية منها أو العسكرية منذ عهد الأمير خالد وحتى مصالي الحاج والدكتور محمد الصالح بن جلول وفرحات عباس⁴.

خاتمة:

نستنتج من هذه الدراسة:

1- Gilbert Meynier et Koulakssis Ahmed . L'émir Khaled, premier za'im ? : Identité algérienne et colonialisme français. Paris.editionslharmattam.1987.p154.

2- علي مراد الحركة الاصلاحية في الجزائر من 1825-1940. ترجمة محمد يحياتن. الجزائر. دار الحكمة 2007. ص122.

3- نفسه ص 146.

4. مذكرة ماجستير. اشراف 1945 - الطاهر سبقاق العدوان العسكري على الجزائر وسوريا خلال ماي 16. ص 2009-2010 احمد رضوان شرف الدين. جامعة بوزريعة. الجزائر السنة الجامعية

- لقد أدرك الجزائريون أن المقاومة المسلحة لم تعد مجدية أمام احتلال لا يعترف بكفاءة الجزائريين ولا بقدرتهم على استيعاب التطور الحضاري، فقرروا مجابهته بأساليب أخرى غلب فيها العقل والمعرفة.
- ظهرت تيارات وتكتلات سياسية في الجزائر كالمحافظين والنخبة واتحادية المنتخبين وجمعية العلماء المسلمين والتيار الثوري....والتي رغم اختلافها في مواقفها من الاستعمار وفي مطالبها إلا أنها شكلت حالة إجماع وطني الهدف منه تحسين وضعية الإنسان الجزائري الذي عانى ويعاني من ويلات الاستعمار الفرنسي.
- إن اختلاف مشارب التيارات السياسية في الجزائر بين من هم أصحاب مرجعية إسلامية أو أصحاب المرجعية الأوروبية إلا أنهم قدموا برامج سياسية كان لها الأثر في أحداث تلك الطفرة المميزة من حياة الجزائر السياسية.
- كان للمثقفين الجزائريين مواقف واضحة من الاستعمار الفرنسي كما كان لهم دور كبير في إثراء البرامج السياسية للتيارات والأحزاب التي انتموا إليها.
- يمكن القول أيضا أن الحرب العالمية الأولى ألقت بظلالها على نشاط التيارات السياسية والنخب المثقفة حيث تأثر نشاطها بهذا الوضع الدولي الجديد.